تعامل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مع المصطلح البلاغي

الاستاد مراد مزعاش

المدرسة العليا للاساتذة قسنطينة

ملخص البحث:

عرض البحث إلى المصطلح البلاغي وكيف تعامل معه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقد، تضمن الحديث عن مفهوم المصطلح وأهميته و الاتجاهات التي تعامل فيها ابن عاشور مع المصطلح البلاغي وهي : النقل دون تصرف فيما تناول وهو الأعم . النقل ومناقشة ما تناول مع القبول أو الرفض . الإبداع و الإتيان بالجديد و الاستدراك على السابقين . وكان حديثنا مركزا على الاتجاه الثاني و الثالث دون الأول . تم خاتمة وخلاصة البحث

Résumé

L'exposé nous invite à comprendre le sens du mot (Terme rhétorique et les déférentes façons ave les quelles Cheikh Ibn Achour l'a considéré .

- Copier sans modifier quoique se soit et c'est le plus global .
- Copier et discuter avec les possibilité d'accepter et de refuser .
- Remover et apporter du nouveau en utilisant la tradition des ancêtres .Notre discussion à été basé sur la dernière façons puis une conclusion et un résume de l'expose

المصطلح معناه واهميته:

إن كلمة مصطلح في اللغة مشتقة من المادة " صلح " او " صلح " ومنها الصلاح والصلوح، حيث أورد ابن فارس في معجمه أن الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد...[1]

وفي الصبغة الاشتقاقية نفسها اورد ابن منظور ان الصلاح كلمة ضد الفساد، اي اصطلحوا وصالحوا وأصلحوا وأصالحوا مع تشديد الصاد، تم قلبوا التاء صادا مع إدغامها في الصاد بمعنى واحد[2].

وفي الصحاح ورد بأنها "ضد الفساد" فنقول: صلح الشيء يصلح صلوحا حيث قال الفراء: "وحكى أصحابنا صلح أيضا بالضم من المصالحة تم أن الإصلاح نقيض الإفساد، والمصلحة واحدة المصالح، والاستصلاح نقيض الإفساد "[3].

وفي الاصطلاح:

تؤكد أكثر التعاريف ان المصطلح في الاصل اتفاق الباحثين على اختياره للتعيين عن مفهوم معين في علم معين.

فمحمود فهمي حجازي مثلا يرى ان المصطلح هو :" الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص "[4].

وكان الجرجاني قبل ذلك اشار إلى هذا المفهوم بشكل اوسع وادق فقال في تعريف كلمة "اصطلاح" في مادة "صلح" :"هو اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما او مشابهتهما في وصف وغيرهما "[5].

---

[1] - ابن فارس – مقاييس اللغة –الجزء3- تحقيق وضبط عبد السلام هارون – دار الفكر – د ت - ص303.

[2] - ابن منظور – لسان العرب – الجزء2 – إعداد و تصنيف يوسف الخياط – دار لسان العرب بيروت لبنان - المجلد الثالث – د ت - ص08

[3] - الجوهري – الصحاح في اللغة - مادة صلح – الجزء 1 – بيروت لبنان – د ت – د ط - ص393 .

[4] - محمود فهمي حجازي – الأسس اللغوية لعلم المصطلح – دار غريب للطباعة و النشر – د ت – ص08.

وهو بهذا يحدد ميزتين اساسيتين للمصطلح:
الأولى: اتفاق المتخصصين على دلالة دقيقة.
الثانية: اختلاف المصطلح عن كلمات أخرى في اللغة العامة.
وهو عند التهانوي : رمز لغوي له دلالة محددة في حقل معين من حقول المعرفة يتفق عليه مجموعة من العلماء في ذلك الحقل ليصف أو يشير إلى ظاهرة من الظواهر، ولابد لهذا الرمز اللغوي الذي يستخدم بشكل اصطلاحي من وجود علاقة تربط بين أصله اللغوي ووضعه الاصطلاحي الجديد الذي يخرج به إلى دلالة جديدة غير دلالته اللغوية الأصلية[6].
فكل هذه التعريفات انبثقت من الدلالة اللغوية المشيرة إلى الاتفاق، ولذلك فالمصطلح هو كلمة أو أكثر اتفق طائفة من العلماء على إطلاقها على معنى خاص يكون بينه وبين المعنى اللغوي مناسبة ما.
ويشير بعض الباحثين إلى بعض مميزات المصطلحات والتي منها خاصية، " ان تكون دقيقة، وأن تكون منظمة، وأن تكون قابلة للنمو"[7] ويضيف اخر ميزة مهمة بقوله :"حيث ينبغي أن يكون لفظا أو تركيبيا، وألا يكون عبارة طويلة تصف الشيء وتوحي إليه"[8].
ولكل طائفة من العلماء يمثلون توجها علميا محددا مجموعة من المصطلحات تواطؤوا على تسميتها واتفقوا على دلالاتها فتشيع هذه المصطلحات بينهم وتكون ذات دلالة محددة عندهم.

---

[5] - علي بن محمد الجرجاني – التعريفات – مادة صلح – دار الكتب العلمية - بيروت لبنان 1416هـ / 1995م – د ط - ص 44 .
[6] - التهانوي – كشاف اصطلاحات الفنون - تحقيق لطفي عبد البديع – وزارة الثقافة و الإرشاد القومي – القاهرة 1963 م .
[7] - محمد كامل حسين – القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية – مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة - الجزء 11 – ص137.
[8] - يحي عبد الرءوف جبر – الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرائق توليده – مجلة اللسان العربي – ص144.

فللمحدثين مصطلحاهم وللنحويين مصطلحاهم وللنقاد مصطلحاهم وللبلاغيين مصطلحاهم ... وهكذا.

حتى نشأت كتب تعنى بالمصطلح قديما [9] وحديثا[10] في كل علم وفن.

المصطلح البلاغي:

والمصطلح البلاغي نشا وتطور مع نشوء البلاغة وتطورها، خاصة وان البلاغة نشأت خدمة للقران الكريم ومعرفة وفهم إعجازه.

فكان تاريخ المصطلح البلاغي هو تاريخ البلاغة يحتاج في كل مرحلة من مراحل التطور إلى مصطلحات جديدة خاصة مع التصورات الجديدة التي تظهر مع الدارسين والمبدعين مما يستدعي مصطلحات جديدة تواكب نظرهم واجتهادهم وتصورهم.

وتاريخ البلاغة سلسلة طويلة تبدا حلقاها منذ ان اكتملت اللغة العربية، ثم تعددت هذه الحلقات وتوالت في أطوار مختلفة وصور متباينة، ومرت بعوامل قوة وضعف إلى أن وقفت عند حدود ورسوم يضيف إليها البعض بين الفينة والأخرى ما يدعم وجودها ويثري نشاطها وحيويتها.

في هذه الحلقات وتلك الأطوار، وفي مجال التاليف البلاغي نجد كثيرا من العلماء الذين ساهموا في بناء صرح هذا العلم، والذين لمعت أسماؤهم لتضيء تاريخه ويأتي في مقدمتهم في العصر الحديث الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من خلال كتابه موجز البلاغة أو تفسيره التحرير والتنوير أو حتى كتابه شرح المقدمة الأدبية على ديوان الحماسة للمرزوقي وغيرها من تصانيفه وكتبه..

وهو في كتبه هذه باحثا ودارسا وناقدا وبلاغيا من الطراز الاول حيث يحدد مدلول المصطلحات ويكشف عن وجود الجمال وأسراره في النص الأدبي خاصة منه

---

[9] - منها : - مفاتيح العلوم للخوارزمي – التعريفات للجرجاني – التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي – الكليات للكفوي – كشاف اصطلاحات الفنون للتاهانوي...

[10] - منها في البلاغة مثلا: - مصطلحات بلاغية لأحمد مطلوب – معجم البلاغة العربية لبدوى طبانة - مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ للشاهد البوشيخي – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب – المعجم المفصل في علوم البلاغة لإنعام فوال عكاوي...

القراني، منتفعا باراء السابقين مستخلصا رايه منها، واضح الشخصية محدد المنهج...

ومسائل البلاغة عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور يمكن النظر إليها من خلال ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مسائل نقلها ممن سبقه من علماء البلاغة دون تصرف فيما نقل وهي الغالب الاعم في كل ما تناوله.

القسم الثاني: مسائل نقلها ممن سبقه ولكنه لم يكتف بنقلها فقط وإنما ناقش ما نقل وقبل منه ما قبل ورفض ما رفض، صادرا في كل ذلك عن بصر وبيان لوجهة نظره ومذهبه فيما يأخذ ويدع.

القسم الثالث: مسائل يعزى فيها الفضل له في اكتشافها اسما واصطلاحا، حيث نجده لم يسندها إلى غيره.

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو مسائل القسم الثاني والثالث، لان للشيخ ابن عاشور رأيا في تناول المصطلحات البلاغية، إذ أنه لا يقف عند ما شاده الأقدمون فينظر إليه بعين الانبهار والتسليم، وإنما يقلب فيه الفكر والنظر ويحاول أن يضيف إلى ما أرسوه جديدا نافعا في علوم البلاغة.

أولا: المسائل التي تعقب فيها السابقين :

1- تعقب ابن عاشور القزويني في حديثه عن الإطناب حيث عد منه قسما يسمى بالإيغال؛ وهو أن يؤتى بعد تمام المعنى المقصود بكلام اخر يتم المعنى بدونه لنكته.

واستدل القزويني على هذا بقوله تعالى: " اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون "[11] فبعد أن استدل بجملة من الشواهد الشعرية قال :"وقيل لا يختص بالنظم ومثل له بقوله تعالى تم ذكر الاية"[12].

[11] - سورة يس – آية 21.

[12] - القزويني – الإيضاح – شرح وتنقيح وتعليق الدكتور عبد المنعم خفاجي – دار الكتاب اللبناني الطبعة الخامسة – 1400هـ / 1980م - ص200/199.

قال ابن عاشور وهو يفسر هذه الاية ومعقبا على القزوبني: "واعلم ان هذه الاية قد مثل بها القزوبني في الإيضاح والتلخيص للإطناب المسمى بالإيغال.. وقد تبين مما فسرنا به أن قوله "وهم مهتدون" لم يكن مجرد زيادة بل كان لتوقف الموعظة عليها، و كان قوله :"من لا يسألكم اجرا" كالتوطئة له، ونعتذر لصاحب التلخيص بأن المثال يكفي فيه الفرض والتقدير"[13].

و رغم أن ابن عاشور يتعقب القزوبني و يعتبر الاية خارجة عن التعريف المشار إليه إلا أنه يلتمس له العذر بأن المثال يكفي فيه الفرض و التقدير.

2- هناك بعض المصطلحات رأى ابن عاشور أن تنقل من الابواب البلاغية المندرجة تحتها إلى أبواب بلاغية غيرها منها:

ا- الفصاحة.

المشهور عن الفصاحة انها من مقدمات علم البلاغة و انها شرط في بلاغة الكلام[14]، إلا ما كان من الطيبي الذي جعلها ضمن علم البديع.

أما عند ابن عاشور: فالفصاحة أن يكون الكلام خالصا – اي سالما – مما يعد عيبا في اللغة بأن تسلم من عيوب تعرض للكلمات التي تركب منها الكلام او تعرض لمجموع الكلام[15].

قال ابن عاشور: "اعلم ان الفصاحة من اخص كلام العرب، وعدها في علم المعاني من حيث إنها شرط في البلاغة، إذ لا يعتد بالكلام البليغ إلا إذا كان فصيحا، فلما توقف وصف البلاغة على تعقل معنى الفصاحة ذكروها هنا لئلا يحيلوا المتعلم على علم اخر.

و قد كان الشان ان تعد الفصاحة من مسائل علم الإنشاء، و المتقدمون عدوها في المحسنات البديعية نظرا لكونها حسنا لفظيا لكن الحق أن كونها أقوى اعتبارا من البلاغة مانع من عدها في المحسنات التي هي توابع.

---

[13] - ابن عاشور – التحرير والتنوير – الجزء22 – الدار التونسية للنشر تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – 1984م - ص367.

[14] - شروح التلخيص – الجزء 1 – دار الكتب العلمية بيروت لبنان – د ط – د ت - ص 70 .

[15] - ابن عاشور – موجز البلاغة – المطبعة التونسية – تونس 1932م – ص 7/6 .

فالوجه عدها من مسائل الإنشاء و إن ذكرها هنا مقدمة للعلم، و إنما اشترطت الفصاحة في تحقيق البلاغة لأن الكلام إذا لم يكن فصيحا لم تقبل عليه أفهام السامعين فيفوها كثيرا مما أودعه المتكلم في كلامه من الدقائق[16].

فالفصاحة عند ابن عاشور وضعها في علم المعاني من قبيل الشرط في البلاغة لكنها حرية بأن تنقل إلى علم الإنشاء، و إن الصحيح عدم عدها من المحسنات البديعية لأن المحسنات توابع.

و عليه فإن نظرة ابن عاشور إلى الفصاحة من حيث نسبتها إلى اي من علوم البلاغة اختلفت عن نظرة البلاغيين الأوائل إذ رأى أن تنقل إلى علم الإنشاء.

بل لقد صرح بأن أبوابا أخرى من البلاغة لا تخلو من شديد انتساب لمسائل الإنشاء مثل: الفصل و الوصل، و الإيجاز و الإطناب و بعض المحسنات البديعية[17].

ب- و مما تعقب به ابن عاشور البلاغيين إضافته قيدا في تعريف الإسناد، حيث عرفه بقوله: "الإسناد ضم كلمة إلى أخرى ضما يفيد ثبوت مفهوم إحداهما لمفهوم الأخرى... أو انتفاءه عنه ... سواء بالتعيين أو الترديد "[18].

ثم عقب ذلك قائلا: "و اعلم انني نقحت تعريفهم للإسناد فاتيت بتعريف ينطبق على الخبر و على الإنشاء، و لذلك لم أذكر في التعريف لفظ الحكم بل قلت يفيد ثبوت مفهوم... لأن في الإنشاء ثبوتا و انتفاء لكن بلا حكم"[19].

ج- كما تعقب البلاغيين أيضا بإضافة قيد في تعريف التشبيه، حيث عرفه بقوله: "فالتشبيه الدلالة الصريحة على إلحاق شيء بشيء في وصف اشتهر فيه الملحق به تقريبا لكمال الوصف المراد التعبير عنه، كقولك هذا الفرس كالطائر في سرعة

---

[16] - ابن عاشور – موجز البلاغة - ص 8.
[17]- المصدر الساق – ص 42/33/29/24 .
[18] - المصدر نفسه – ص 11 .
[19] - المصدر نفسه – ص 11 .

المشي، و المراد بالصريحة ما كانت بلفظ دال على الإلحاق ملفوظ او مقدر، و خرج به الاستعارة و التجريد"[20].

تم عقب على ذلك قائلا: "إنما زدت قيد الصريحة في تعريف التشبيه لإخراج ما دل على مشاركة أمر لأمر في وصف دلالة غير صريحة، و ذلك أنواع الاستعارة، لأن صورة الاستعارة لا تنبئ بالمشاركة بل هي إثبات الوصف لمن ليس متصفا به. و إنما يعلم قصد التشبيه بالقرينة...

و خرج أيضا التجريد[21] الاتي في فن البديع. لا حاجة إلى ما اطال به صاحب التلخيص.

كما اننا عدلنا عن لفظ المشاركة الواقع في التلخيص لئلا يرد نحو: تضارب"[22].

و يمكن اعتبار تعريف ابن عاشور للتشبيه بزيادته قيد (الصريحة) وصفا للدلالة يكون أكثر دقة و وضوح من تعريفات البلاغيين

3-الإطناب و الإيجاز:

يرى ابن عاشور أن هذين المصطلحين "قد يطلقان على التوسع في الغرض المسوق له الكلام و الاقتصاد فيه"[23].

تم يتابع كلامه بقوله: "فيعد من الإطناب الإتيان بالجملة المعترضة او كثرة البيان و الإيضاح، و من الإيجاز ترك المقدمات في الخطب لضيق المقام و نحوه. و تعلق هذا النوع بفن البلاغة ضعيف بل هو من مباحث صناعة الإنشاء"[24].

فهو بهذا يخالف ما جرت عليه عادة البلاغيين من ذكر هذا المبحث في علم المعاني و يرى أن يبحث في صناعة الإنشاء لأن تعلقه بفن البلاغة ضعيف.

التذييل:

---

[20] - المصدر نفسه – ص 31 .

[21] - التجريد : " أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه ". أنظر القزويني – التلخيص في علوم البلاغة – تحقيق عد الرحمان القوقي – القاهرة - ص 368 .

[22] - ابن عاشور – موجز البلاغة – ص 31.

[23] - المصدر السابق – ص 30

[24] - المصدر نفسه – ص 30

و هو " ان يذيل الناظم او الناثر كلاما بعد تمامه و حسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام و تزيده توكيدا و يجري مجرى المثل بزيادة التحقيق"[25]
و قد بحثه بعض البلاغيين في الإطناب كالقزويني[26] و شراح التلخيص[27]. غير ان أكثرهم بحثوه مستقلا.
أما ابن عاشور فإنه لما تعرض لهذا المصطلح جعله مرة من ضروب الاطناب و أخرى رأى أنه من الأفضل أن يوضع في الفصل لا في الوصل.
ففي تفسيره لقوله تعالى: "أم تريدون أن تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل و من يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل"[28]
قال ابن عاشور: "... و هو المقصود من التذييل المعرف في باب الإطناب بانه تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها تتنزل منزلة الحجة على مضمون الجملة و بذلك يحصل تأكيد معنى الجملة الأولى و زيادة. فالتذييل ضرب من ضروب الإطناب من حيث يشتمل على تقرير معنى الجملة الأولى و يزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى و أبدعه ما أخرج مخرج الأمثال لما فيه من عموم الحكم و وجيز اللفظ مثل هاته الآية.
و قول النابغة:
"و لست بمسبق اخا لا تلمه ***** على شعث اي الرجال المهذب"[29]
و في موضع اخر يرى أن التذييل من مقتضيات الفصل و أن حقه ان يوضع في الفصل لا في الوصل[30].

5- الإدماج :

---

[25] - البغدادي - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1418هـ /1998م - ص 110 .
[26] - القزويني – التلخيص – ص 227 .
[27] - شروح التلخيص – الجزء 3 – ص 225 .
[28] - سورة البقرة – آية 108 .
[29] - ابن عاشور – التحرير و التنوير – الجزء 1 – ص 667 .
[30] - المصدر نفسه – الجزء 23 – ص 25 .

و هو كما يعرفه ابن عاشور: "... و هذا الإدماج من افانين البلاغة ان يكون مراد البليغ غرضين فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني و فيه تظهر مقدرة البليغ إذ يأتي الاقتران بدون خروجه عن غرضه المسوق له الكلام و لا تكلف"[31]

ثم يعقب على ذلك بقوله: "و قد عدَّ الإدماج من المحسنات البديعية، و هو جدير بأن يعد في الأبواب البلاغية في مبحث الإطناب، أو تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر"[32]

و قد أورد البلاغيون الإدماج في المحسنات البديعية[33]، و ما ذهب إليه ابن عاشور بأن يدخل في باب علم المعاني دقيق لأنه متعلق بالنظم و السياق أكثر من تعلقه بإبراز مواطن حسن الكلام كما هي مصطلحات البديع.

ثانيا: المسائل التي اكتشفها اسما و اصطلاحا:

و هذه المسائل أو المصطلحات البلاغية مما يعزى فيها الفضل إلى ابن عاشور في اكتشافها و وضع أسماء و مصطلحات لها و يشير إلى أنه هو من ابتكرها و لم يسبقه إليه أحد، منها:

أ - من المصطلحات البلاغية التي يعود الفضل إلى ابن عاشور في ابتكارها و إغناء معجم البلاغة بها مصطلح: التشبيه المكنى، أو التشبيه الكنائي.

قال ابن عاشور: "و قد يحذف المشبه به فيكون التشبيه مكنيا و يشار إليه ببعض ما هو من خصائص المشبه به كقول النابغة:

قبت كأن العائدات فرشن لي ***** هراسا به يعلى فراشي و يقشب

فالتشبيه به هو المريض الذي يشتد المه بالليل و قد حذفه و أشار إليه بالعائدات، لأن المقصود تشبيه نفسه لا تشبيه العوائد. و إنما جاء بذكر "فرشن لي" زيادة في تهويل الامه. و هذا النوع هو الذي تتفرع منه الاستعارة المكنية و لم يذكره المتقدمون"[34].

---

[31] - المصدرنفسه – الجزء 1 – ص 339 .
[32] - المصدر نفسه – ص 340/339 .
[33] - القزويني – الإيضاح – ص 375 .
[34] - ابن عاشور – موجز البلاغة – ص 33/32 .

و هذا التشبيه دقيق جدا إذ يتداخل مع الاستعارة المكنية و لهذا اشار ابن عاشور إلى أن الاستعارة المكنية تتفرع منه.

و لكن الفرق بينهما أن التشبيه المكنى يجيء فيه المشبه ضمن الجملة بلفظه الصريح أو بما يكنى به عنه من جهة، و يأتي فيه المشبه به صريحا أو بما يكنى به عنه من جهة ثانية على وجه يشير إلى التشبيه، على عكس الاستعارة فلا يجتمع فيها المشبه بلفظه الصريح أو بما يكنى به عنه مع المشبه به بلفظه الصريح أو بما يكن به عنه على وجه ينبئ على التشبيه. فالفارق دقيق جدا بينهما لا يظفر به إلا صاحب الفكر النير الثاقب كابن عاشور.

2- و من المصطلحات التي راى ابن عاشور ان يسميها بغير الاسم الشائع عند البلاغيين مصطلح (تأكيد المدح بما يشبه الذم)، و قد سماه ابن عاشور (تاكيد الشيء بما يشبه ضده)

ففي تفسير قوله تعالى: "قل ما اسالكم عليه من اجر إلا من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلا"[35]

قال ابن عاشور ".. و الاستثناء معيار العموم فلذلك كثر في كلام العرب ان يجعل تأكيد الفعل في صورة الاستثناء، و يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم، و بعبارة أتقن تأكيد الشيء بما يشبه ضده.."[36]

و في تفسير قوله تعالى: "الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله"[37].

قال ابن عاشور: "...و هذا من تاكيد الشيء بما يوهم نقضه، و يسمى عند اهل البديع تأكيد المدح بما شبه الذم و شاهده قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ***** بهن فلول من قراع الكتائب"[38]

---

[35] - سورة الفرقان – آية 57 .

[36] - ابن عاشور – التحرير و التنوير – الجزء 19 – ص 58 .

[37] - سورة الحج – آية 40 .

[38] - المصدر السابق – الجزء 17 – ص 275 .

و في تفسير قوله تعالى: "قال رب إني دعوت قومي ليلا و نهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا"[39]

قال ابن عاشور: "و إسناد زيادة الفرار إلى الدعاء مجاز لان دعاءه إياهم كان سببا في تزايد إعراضهم و قوة تمسّكهم بشركهم.

و هذا من الأسلوب المسمى في علم البديع تاكيد المدح بما يشبه الدم، او تاكيد الشيء بما يشبه ضده، و هو هنا تأكيد إعراضهم المشبه بالابتعاد بصورة تشبه ضد الإعراض"[40]

فابن عاشور كلما تعرض إلى تفسير اية فيها هذا المحسن البديعي (تاكيد المدح بما يشبه الذم) إلا أشار إليه ثم أعقبه بالتسمية أو المصطلح الذي يراه اكثر دقة و تعبير عن هذا المصطلح فيقول: (أو تأكيد الشيء بما يشبه ضده).

و في كتابه موجز البلاغة جعله من المحسنات المعنوية فقال: "و منه تاكيد الشيء بما يشبه ضده حتى يخيل للسامع أن الكلام الأول قد انتقض فإذا تأمله وجده زاد تأكدا كقول النابغة:

و لا عيب فيهم غير ان سيوفهم ***** بهن فلول من قراع الكتائب

و هذا الذي سلكه النابغة هو أحسن انواعه و هو ما يوهم عيبا في الظاهر او نحو العيب من المدح إذا كان الضد ذما.

و مثله أيضا قول الحريري:

ما فيه من عيب سوى أنه ***** يوم الندى قسمته ضيزى

بخلاف ما لا يكون فيه من الإبهام إلا ذكر لفظ الاستثناء أو الاستدراك نحو قوله:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا ***** سوى أنه الضرغام لكنه الوبل "[41]

و يبدو أن تسمية ابن عاشور ادق و أشمل و أفضل من تسمية البلاغيين لانها اشمل و أعم فهي تغني عن ذكر مقابله و هو تأكيد الذم بما يشبه المدح كما أنها تشمل أغراضا أخرى.. "[42].

---

[39] - سورة نوح – آية 6/5 .

[40] - المصدر السابق – الجزء 29 – ص 149 .

[41] - ابن عاشور – موجز البلاغة – ص 44 .

3- و من المصطلحات التي كانت مهملة او مهجورة عند البلاغيين السابقين و اعاد ابن عاشور إحياءه من جديد و نبه إليه، مصطلح (طريق الاستفادة بالمقابلة).
و قد أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى: "يا أيها الذين امنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و امسحوا برؤوسكم و أرجلكم إلى الكعبين و إن كنتم جنبا فاطهروا و إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا، فامسحوا بوجوهكم و أيديكم منه"[43]
قال ابن عاشور شارحا و مبينا: "و ما ذكره القران من اعضاء الوضوء هو الواجب و ما زاد عليه سنة واجبة، و حددت الآية الأيدي ببلوغ المرافق لأن اليد تطلق على ما بلغ الكوع و ما إلى المرفق و ما إلى الإبط فرفعت الاية الإجمال في الوضوء لقصد المبالغة في النظافة و سكتت في التيمم فعلمنا أن السكوت مقصود و أن التيمم لما كان مبناه على الرخصة اكتفى بصورة الفعل وظاهر العضو، و لذلك اقتصر على قوله "و أيديكم" في التيمم في هذه السورة و في سورة النساء، و هذا من طريق الاستفادة بالمقابلة، و هو طريق بديع في الإيجاز أهمله علماء الأصول فاحتفظ به و ألحقه بمسائلها"[44].
و لعلها إشارة مهمة و تنبيه دقيق من ابن عاشور و ملاحظة تستحق التسجيل و الاهتمام لهذا النوع من المصطلح المتعلق بالإيجاز.
الخاتمة:
بعد هذه الوقفات مع المصطلح البلاغي وكيف تعامل معه الشيخ ابن عاشور، والتي حرص البحث على تتبعها و تأملها ومحاولة الوقوف عندها وبيان رأي ابن عاشور فيها.

---

[42] - و قد سماه بعضهم: - النفي و الجحود – أو الاستثناء و تأكيد المدح بما يشبه الذم – أو الرجوع و الاستثناء .
[43] - سورة المائدة – آية 6 .
[44] - ابن عاشور – التحرير و التنوير – الجزء 6 – ص 129 .

وقد كان الحديث فيها عن المصطلح عموما والبلاغي خصوصا مفهومه وأهميته و الحدود التي رسمها له المختصون .
ثم كان الحديث عن اتجاهات ابن عاشور في تناول المصطلح البلاغي و التي حددناها في ثلاثة:
الاتجاه الأول : وهو المصطلحات التي نقلها عمن قبله من البلاغيين دون تصرف و هي الغالب ، وهذا الاتجاه لم يكن محل الدراسة و الاهتمام لأن صاحبه كان فيه مقلدا.
الاتجاه الثاني و هو المسائل التي نقلها عمن قبله وناقشها فقبل منها ما قبل ورفض ما رفض والتي منها : مصطلح الإيغال ، ومصطلح الفصاحة ، ومصطلح الإسناد ، ومصطلح التشبيه ،ومصطلح الإطناب و الإيجاز ، ومصطلح التذييل .
وقد تعامل مع هذه المصطلحات من خلال نظرته الخاصة الفاحصة والدقيقة ..من خلال نقل بعضها من باب إلى باب آخر في البلاغة لان ذالك أليق وأفضل ، أو من خلال إضافة ببعض القيود في تعريفها ليكون معناها أدق وأشمل ...
الاتجاه الثالث : و هو المصطلحات التي يعتبر نفسه صاحب الاكتشاف و السبق فيها حيث وضعها للدلالة على معاني معينة في البلاغة ، وهي تمثل استدراكا منه على البلاغيين الذين سبقوه و التي هي : مصطلح التشبيه الكنائي ، ومصطلح تأكيد المدح بما يشبه ضده ، ومصطلح طريق الاستفادة بالمقابلة .
وقد صدر منه كل هذا عن اجتهاد وفق منهج محدد وشخصية علمية دقيقة ..

قائمة المصادر و المراجع

1- الاسس اللغوية لعلم المصطلح – محمود فهمي حجازي – دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع – دت – دط.

2- الاصطلاح مصادره و مشاكله و طرائق توليده – يحيى عبد الرؤوف جبر – مجلة اللسان العربي – العدد 26

3- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب جلال الدين القزويني – شرح و تنقيح و تعليق د.عبد المنعم خفاجي – دار الكتاب اللبناني – الطبعة 5 – 1400هـ/ 1980م

4- التحرير و التنوير – محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر- تونس 1984

5- التعريفات – علي بن محمد الجرجاني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – دط – 1416هـ/ 1995م

6- التلخيص في علوم البلاغة – الخطيب جلال الدين القزويني – تحقيق عبد الرحمن البرقوقي – القاهرة .

7- خزانة الادب و لب لباب لسان العرب – عبد القادر بن عمر البغدادي – دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الاولى 1814هـ / 1998م

8- شروح التلخيص – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – دت – دط

9- الصحاح في اللغة – الجوهري – بيروت – لبنان – دت – دط

10- القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية – مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة – الجزء 11 – سنة 1995

11- كشاف اصطلاحات الفنون – محمد بن علي بن علي بن محمد التهانوي - تحقيق لطفي عبد البديع - وزارة الثقافة و الإرشاد القومي – القاهرة.

12- لسان العرب – ابن منظور الإفريقي - إعداد و تصنيف يوسف الخياط – دار لسان العرب - بيروت - لبنان - دت

13- مقاييس اللغة - ابن فارس – تحقيق و ضبط عبد السلام هارون – دار الفكر دط – دت.

14- موجز البلاغة – ابن عاشور – المطبعة التونسية - تونس 1932